دراسة صينية

الهزيمة الكبرى للولايات المتحدة في العراق

المصدر: دينغ لونغ - معهد الشرق الأوسط بجامعة شنغهاي للدراسات الدولية

تاريخ الإصدار: 11 تموز/ يوليو 2023

مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

دراسة صينية

الهزيمة الكبرى للولايات المتحدة في العراق

الكاتب: دينغ لونغ
المصدر: معهد الشرق الأوسط بجامعة شنغهاي للدراسات الدولية
المترجم: جنى عسّاف

2023-7-11

الملخص: في 20 مارس 2003، شنت الولايات المتحدة حربًا عدوانية ضد العراق دون إذن من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، متذرعة بحيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل. هذه الحرب التي تعتبر الأكثر إثارة للجدل في التاريخ المعاصر، بدأت ظلماً وانتهت بالفوضى. عشرون عامًا مرت، والعراق لم يتعاف بعد من جروح الحرب. لا يزال الوضع الجيوسياسي في الشرق الأوسط، والدبلوماسية الأمريكية، والاستراتيجية العالمية يتأثرون بالحرب، ولم يتوقف التفكير فيها أبدًا.

عام 2003، غزت الولايات المتحدة العراق بشكل متهور. فقد حوالي 200 ألف مدني عراقي حياتهم، واضطر 1 من كل 25 عراقيًا إلى النزوح. فقد عاش العراق "عشرين عامًا دمويًا"، ومع ذلك، فإن بادئ هذه الحرب لا يزال يدّعي أنها "عادلة."

تعرضت الولايات المتحدة لضربة قاسية في قوتها العسكرية ونفوذها الناعم. فإذا عُدنا إلى الحرب قبل 20 عامًا، لقد تغير أكثر من مجرد العراق، فقد كانت بداية الاضطرابات الكبرى في الشرق الأوسط ونقطة التحول في صعود وانحدار هيمنة الولايات المتحدة. قبل اندلاع حرب العراق، كانت الولايات المتحدة بأكملها لا تزال تعيش في حزن وغضب تسببت فيه هجمات 11 سبتمبر. بأي ثمن كان، كانت البلاد على استعداد لمكافحة الإرهابيين، وتشكل ذلك اتفاقًا قويًا داخل المجتمع الأمريكي. كانت الأسباب الملفقة لحكومة الولايات المتحدة، كامتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل ودعم الإرهاب، مقبولة على نطاق واسع من قبل الشعب الأمريكي.

في الذكرى العشرين لحرب العراق، نشرت وسائل الإعلام الأمريكية تقريرًا من معهد واتسون للشؤون الدولية والعامة، في جامعة براون بعنوان "تقدير تكاليف الحرب". كشف هذا التقرير أن حرب العراق تسببت في مقتل 550 ألف شخص، وأكثر من 10 آلاف ضحية أمريكية وبتكلفة تقارب 1.8 تريليون دولار. ومع الأخذ في الاعتبار نفقات رعاية المحاربين القدامى في حرب العراق والعمليات اللاحقة ضد تنظيم الدولة الإسلامية، من المتوقع أن ترتفع تكلفة هذه الحرب إلى 2.89 تريليون دولار بحلول عام 2050. وكانت قد تعهدت الحكومة الأمريكية قبل الحرب بأنها ستكون سريعة وحاسمة، بعدد قليل من الخسائر والتكاليف المنخفضة.

أحدثت حرب العراق أضرارًا كبيرة على القوة الناعمة للولايات المتحدة. **أولاً، تسبب تلفيق أسباب الحرب في انهيار مصداقية الولايات المتحدة.** بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق، لم يتم العثور على أي آثار لأسلحة الدمار الشامل على الرغم من عمليات البحث المكثفة. أشارت استخبارات مكافحة الإرهاب إلى أن نظام صدام حسين لا علاقة له بتنظيم "القاعدة".

تم إطلاق الحرب بأسباب لا مبرر لها. تم استعراض ما يسمى بـ "مسحوق الأسلحة الكيميائية" من قبل وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، كولن باول، في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، تمت الإشارة إليه بشكل ساخر على أنه "منظف الغسيل" من قبل وسائل الإعلام الدولية، وأصبح نكتة دولية واسعة الانتشار.

فبالتلاعب بالحقائق بجدية واستخدام الأكاذيب لبدء الحرب، تضاءلت عظمة الولايات المتحدة إلى حد كبير. وستظل هذه "فضيحة القرن" وصمة عار لا يمكن للولايات المتحدة أن تمحوها أبدًا، وسيتم تثبيتها كعار في التاريخ الأمريكي.

ثانيًا، افتقرت الولايات المتحدة إلى أساس قانوني لشن حرب العراق. لم تكن الانتصارات العسكرية متوافقة مع التبريرات المقدمة لبدء الحرب. يعتقد الباحث الأمريكي فرانسيس فوكوياما أن حرب العراق كانت خطأ من الناحية النظرية والواقعية. وقد اعترف العديد من وزراء الدفاع الأمريكيين علناً بأن الولايات المتحدة لم تحقق النصر في العراق.

افتح صندوق باندورا

تعتبر حرب العراق واحدة من أكثر الحروب تركاً للآثار السلبية. إذ افتقرت الولايات المتحدة إلى فهم تاريخ وثقافة العراق، مما أدى إلى تفاؤل أعمى بشأن نتائج الحرب والاعتقاد بأن العراق سيصبح نموذجًا ديمقراطيًا للعالم العربي.

ومع ذلك، فإن سلسلة من السياسات المضللة التي اتخذتها الولايات المتحدة زرعت بذور الانقسام السياسي والصراع الطائفي في العراق. كان الوضع السياسي والأمني في العراق بعد الحرب دمويًا وقاسيا، ولا يزال بدون حل حتى يومنا هذا.

أولًا، أدت الصراعات العرقية والطائفية إلى تمزيق المجتمع العراقي. بناءً على النظام الذي صممته الولايات المتحدة، تم إنشاء الحكومة العراقية على أساس تقاسم السلطة بين الفصائل الكردية والشيعة والسنية، حيث يتم توزيع المناصب الحكومية والبرلمانية حسب النسب السكانية لكل مجموعة عرقية وطائفية.

يبدو أن هذه "الديمقراطية ذات النمط الفسيفسائي" توازن بين مصالح المجموعات العرقية والطائفية المختلفة، ولكنها في الواقع تعزز الانقسامات. فغالبًا ما يعطي المسؤولون الحكوميون الأولوية لمصالحهم الطائفية على المصلحة الوطنية. ونتيجة لذلك، سقط العراق في وضع "حكومة ضعيفة، ومجتمع قوي"، مع حكم يعاني من انعدام الكفاءة والفساد المستشري. فعلى الرغم من وجود موارد نفطية هائلة، يعاني شعب العراق من تدهور الأوضاع المعيشية.

تشكلت الحكومة العراقية الحالية من ائتلاف حاكم حصل على أقل من 15٪ من الأصوات، بعد أكثر من عام من عدم وجود حكومة. وهذا يدل على أن الديمقراطية الغربية قد أحضرت للعراق صراعات لا تنتهي وحكومة ضعيفة.

ثانياً، أصبح العراق أرضاً خصبة للإرهاب. استغل المتطرفون مثل الزرقاوي حالة الفوضى التي سادت خلال الحرب وأنشأوا فروعاً لتنظيم "القاعدة" في العراق، واكتسبوا نفوذاً كبيراً. على عكس تفويض الحرب في الخليج، واجهت الولايات المتحدة معارضة قوية من غالبية المجتمع الدولي، بما في ذلك العديد من الحلفاء الأوروبيين والعرب، عندما شنت حرب العراق.

تجاهلت الولايات المتحدة القانون الدولي والمبادئ الأساسية للعلاقات الدولية، وشنت الحرب بقوة دون الحصول على تفويض من الأمم المتحدة. وقد شكل هذا سابقة سيئة وخطيرة في اعتداء الدول السيادية بشكل تعسفي وبخرق للقانون الدولي، وأثار موجة عارمة من المعارضة على مستوى العالم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ظهور سياسة التدخل الجديدة يمهد الطريق للهيمنة. على عكس العدوان العسكري التقليدي، يقوم التدخل الجديد بتقويض سيادة الدولة من خلال استخدام الترويج للقيم الغربية مثل الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان كذريعة لتغيير النظام. تحاول الولايات المتحدة، تحت غطاء "حقوق الإنسان فوق السيادة"، تصوير نفسها كـ "منقذ" ينقذ الناس في المواقف صعبة، بينما تخفي طموحها الحقيقي للسلطة والهيمنة.

حرب العراق هي مثال نموذجي للتدخل الجديد. اعتقدت الولايات المتحدة أن الاستبداد والقمع والركود في العالم العربي هي الأسباب الجذرية للإرهاب. لذلك، قدمت مبادرة "الشرق الأوسط الكبير" لتغيير العالم العربي وشرعوا في حرب العراق للإطاحة بنظام صدام حسين. ومع ذلك، كان الهدف الحقيقي للولايات المتحدة هو الإطاحة بالأنظمة المعادية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط وتأسيس هيمنة طويلة الأمد في المنطقة، وليس لإيصال الديمقراطية والحرية لشعب العراق.

على مدى السنوات العشرين الماضية، لم تتوقف جهود الولايات المتحدة أبدًا عن التفكير والتشكيك في حرب العراق. صرّح وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر قائلا: "من المستحيل أن تنهض الولايات المتحدة في العراق وتتطور في النهاية إلى منظمة متطرفة مثل "الدولة الإسلامية" التي تهز العالم."

احتلت "الدولة الإسلامية" مرة واحدة ثلث أراضي العراق وانتشرت بسرعة إلى سوريا وليبيا ومناطق أخرى. وانضم إلى صفوفهم عشرات الآلاف من "الجهاديين" من أكثر من 80 دولة. أصبح العراق الذي كان في السابق دولة علمانية يصعب اختراقها من قبل المنظمات الإرهابية، موقعًا جديدًا لتجمع الأيديولوجيات المتطرفة والإرهابية على المستوى الدولي، مما يشكل تهديدًا خطيرًا للشرق الأوسط والأمن الدولي. لقد ثبت أن نهج الولايات المتحدة في استخدام الديمقراطية للقضاء على الإرهاب فاشل ووقع في مفارقة تصاعد الخوف بزيادة المعارضة.

مرة أخرى، شكل ظهور الميليشيات تهديدًا للأمن القومي. أدى التدهور الشديد في الوضع الأمني بعد الحرب إلى إغراق العراق في دولة تحكم فيها مجموعات عرقية وطائفية مختلفة بشكل مستقل، مما أدى إلى تشكيل مجموعات ميليشيات متعددة. تعمل هذه الميليشيات إلى حد كبير خارج سيطرة القوات الحكومية وتصبح فعليًا "دولًا داخل دولة" تمثل مصالح طائفية. وقد أدت نزاعاتهم إلى حالة من الانقسام، وشكلت تهديدًا مستمرًا للوحدة الوطنية.

انهيار صورة الولايات المتحدة كـ "مدافع عن حقوق الإنسان"

قبل حرب العراق، كانت الصورة الأمريكية على أنها "مدافع عن حقوق الإنسان" خداعة للغاية، حيث أدت إلى تضليل العديد من الأشخاص وجعلتهم يبجلون "منارة" الديمقراطية وحقوق الإنسان المزعومة. غير أن تصرفات الولايات المتحدة في العراق قوضت تمامًا صورتها كـ "مدافع عن حقوق الإنسان" وكشفت عن هويتها الحقيقية باعتبارها منتهكة لحقوق الإنسان.

أولاً، أسفرت حرب العراق عن سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين الأبرياء. منذ عام 2001، تسببت الحروب والعمليات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة باسم مكافحة الإرهاب في مقتل أكثر من 900 ألف شخص، منهم 335 ألفًا من المدنيين. وأصيب الملايين من الناس وتشرد عشرات الملايين. في حرب العراق وحدها، قُتل حوالي 200 ألف مدني، وقتل الجيش الأمريكي أكثر من 16 ألف إنسان بشكل مباشر. لقد أظهر الجيش الأمريكي استهتارًا بالحياة البشرية، وقتل المدنيين بشكل عشوائي وشن غارات جوية على المناطق السكنية. فإن الحق في الحياة هو أعظم حق للإنسان، واستخفاف القوات الأمريكية بحياة المدنيين العراقيين فضح نفاق الخطاب الأمريكي بشأن حقوق الإنسان.

ثانيًا، استخدمت الولايات المتحدة على نطاق واسع أسلحة محظورة في العراق. استخدم الجيش الأمريكي عددًا كبيرًا من الأسلحة المحظورة مثل الفسفور الأبيض واليورانيوم المنضب في العراق، وما زالت آثار هذه الأسلحة موجودة حتى يومنا هذا.

يكشف التقرير الصادر عن منظمة السلام الهولندية (PAX) أن التحالف بقيادة الولايات المتحدة خرق القوانين من خلال استخدام حوالي 10,000 قذيفة من اليورانيوم المنضب في المناطق المدنية داخل العراق. هذا تسبب في تهديد خطير لحياة وصحة السكان المحليين، فضلاً عن البيئة الايكولوجية. وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة، لا يزال هناك حوالي 25 مليون لغم أرضي ومتفجرات أخرى في العراق تحتاج إلى إزالة.

بالإضافة إلى ذلك، انتهك الجيش الأمريكي حقوق الإنسان من خلال تشغيل "السجون-المواقع السوداء". تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، أنشأت الولايات المتحدة "سجونا سوداء" في عدة دول. ووفقًا لتقرير البحث الصادر عن معهد واتسون في جامعة براون للشؤون العامة والدولية حول "تكاليف الحرب"، ضمت شبكة "السجون السوداء" الأمريكية في الخارج ما لا يقل عن 54 دولة ومنطقة بعد هجمات 11 سبتمبر. تم احتجاز مئات الآلاف من الأشخاص دون محاكمة، وكانت العراق واحدة من الدول التي تركز فيها "السجون السوداء" بشكل كبير.

في سجن أبو غريب المشهور بسمعته السيئة، قام الجيش الأمريكي باستخدام وسائل مثل الإيهام بالغرق والحرمان من النوم والإذلال الجسدي لانتزاع الاعترافات من خلال التعذيب. حتى تم استخدام بعض المعتقلين كـ "أدوات تعليمية" للمتدربين لممارسة أساليب تعذيب غير إنسانية، بما في ذلك "ضرب الجدران" و "رش الماء"، مما تسبب في إلحاق أضرار جسدية ونفسية جسيمة. أثار نشر العديد من الصور التي تصور الاعتداء على السجناء في سجن أبو غريب العالم بصدمة وغضب، مما أدى إلى انهيار صورة الولايات المتحدة "كمدافعة عن حقوق الإنسان" وجعل "دعواتها الحقوقية" مقززة.

كان العراق، باحتياطاته النفطية الوفيرة، من أكثر الدول العربية المتقدمة سياسيًا وعسكريًا. لم يمتلك ثروة هائلة فحسب، بل احتل أيضًا مرتبة عالية من حيث التعليم والعلمنة في العالم العربي. فحرب العراق لم تغير الديناميكيات السياسية السابقة للبلاد فحسب، بل أظهرت أيضًا عوامل الاضطراب والانقسام المختلفة. لم تحقق الديمقراطية على النمط الغربي الاستقرار والازدهار للعراق؛ بدلاً من ذلك، حولت البلاد إلى "جحيم على الأرض" متلازم بالاضطراب والمعاناة الشديدة.

في السنوات الأخيرة، تحسنت الأوضاع الأمنية والمعيشية تدريجياً في العراق، بفضل عوامل مثل ارتفاع أسعار النفط الدولية والتعاون مع الدول الصديقة مثل الصين. علاوة على ذلك، توسط العراق بنشاط في النزاعات

الإقليمية، ونظم قمم متعددة الأطراف، واستضاف بنجاح بطولة كأس الخليج لكرة القدم، بل وفاز بالبطولة. تشير هذه الأحداث إلى أن هذا البلد الذي طالت معاناته يتجاوز الصعاب ويخرج من الأزمات.

في الآونة الأخيرة، بوساطة من الصين، حققت السعودية وإيران مصالحة تاريخية، ما أطلق موجة جديدة من "المصالحة" في منطقة الشرق الأوسط. كان العراق ضحية مباشرة للصراعات الطائفية والمواجهات بين الفصائل في الشرق الأوسط. سيؤدي تخفيف التوترات الجيوسياسية وإضعاف الطائفية إلى تسريع عملية استعادة الأمن والاستقرار في العراق، مما سيساعد هذا البلد الذي مزقته الحرب على الخروج من النفق المظلم والسير نحو مستقبل أكثر إشراقًا.